

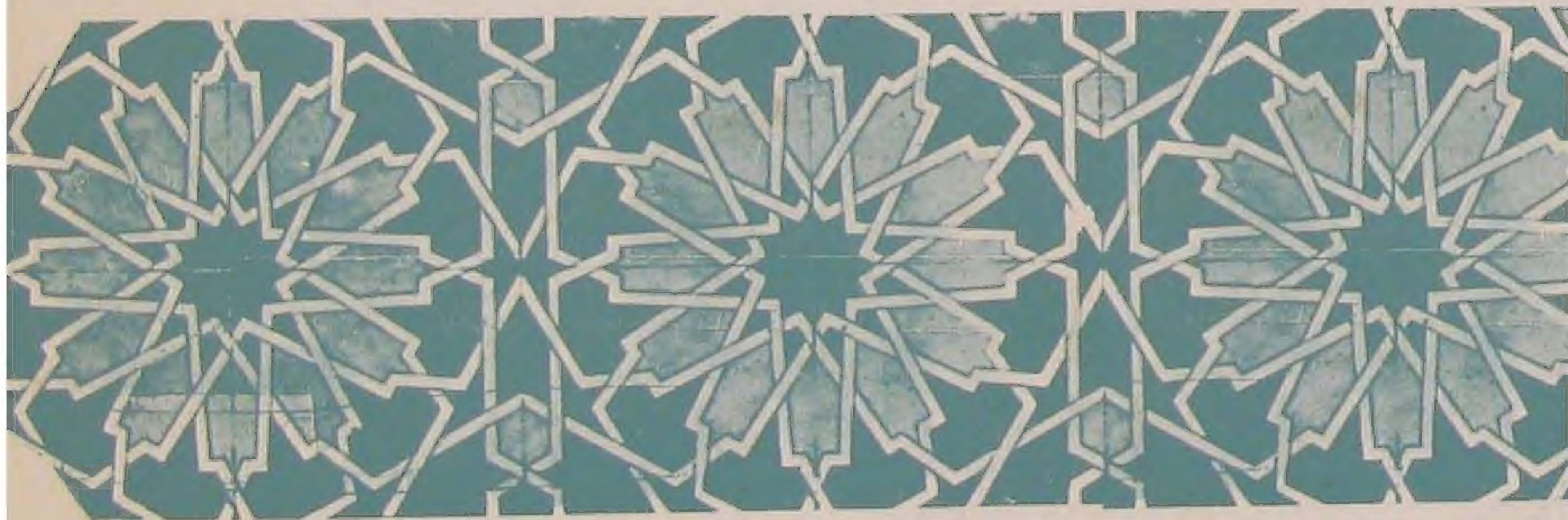
مالم ينشر

من نرات الجامع

لابي عثمان عمرو بن بجر الجاحظ

١٥٠-٢٥٥ هـ

بتحقيق
الدكتور محمد صالح الصالح



منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية

سلسلة كتب التراث
(٧٧)

١٩٧٩

مركز جامعة الماجد للثقافة والتراث،
دبي
رقم التسجيل ٨: ٥٥٢
المصدر^١ر

112786

مكتبة الدكتور شعري فيصل

مالم ينسر

من تران الجاحظ

الرد على المشبهة

و
المنابيل والجوابات
في المعرفة



لابي عثمان عمرو بن بجر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥ هـ

تحقيق

الدكتور محمد صالح الصبيح

مركز جامعة الماجد للثقافة والتراث

قسم الفروع

رقم المادة: 75.6.2.1.1

رقم النسخة: 22.7.3.9.6

المصدر:

التاريخ:

مُقَدِّمَةٌ

هذه فصول مختارة ، لم تنشر من قبل ، من كتابي الجاحظ :
(الرد على المشبهة) و (المسائل والجوابات في المعرفة) تفرد
بذكرها الامام عبيدالله بن حسان في (فصول مختارة من كتب
الجاحظ) •

والكتاب الاول ذكره الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان اذ
قال : (وعبت كتابي في خلق القرآن ، كما عبت كتابي في الرد على
المشبهة ، وعبت كتابي في اصول الفتيا والاحكام ، كما عبت
كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه) (١) •
وذكره أيضا في رسالته (في نهي التشبيه) (٢) فقال :
(وقد كتبت - مد الله في عمرك - في الرد على المشبهة كتابا
لا يرتفع عنه الحاذق المستغني ، ولا يرتفع عن الرئض المبتدئ •
وأكثر ما يعتمد عليه العامة ودهماء أهل التشبيه من هذه الامور
ويشتمل عليه الفضل من حشوة الناس ، ويختدع به المحدثون
من الجمهور الاعظم ، تحريف آي كثيرة الى غير تأويلها ، وروايات
كثيرة الى غير معانيها • وقد بينت ذلك بالوجوه القريية ، والدلالات
المختصرة ، وبالشعار الصحيحة والامثال السائرة ، واستشهدت

(١) الحيوان ٩/١ •

(٢) رسائل الجاحظ ٢٨٩/١ •

الكلام المعروف ، والقياس على الموجود • وهو مع ذلك كله كتاب قصد ، ومقدار عدل ، لم يفضل عن الحاجة ، ولم يقتصر عن مقدار البغية) •

والجاحظ بما يمتاز به من القدرة على عرض الآراء المختلفة قد بين لنا في هذا الكتاب حجج دعاة التشبيه وسلك في مناقشتها سبيل الاقناع لدحضها وبيان فسادها فظهرت قدرته الفائقة على الجدل والمناظرة •

وقد أثنى الخياط المعتزلي المتوفى سنة ٣٠٠ هـ على هذا الكتاب فقال : (فمن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة وكتابه في الاخبار واثبات النبوة وكتابه في نظم القرآن علم أن له غناء عظيما لم يكن الله عز وجل ليضيّعه له) (٣) •

أما الكتاب الثاني فقد ذكره الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان أيضا (٤) ، قال : (ثم عبت جملة كتبي في المعرفة ، والتمست تهجينها بكل حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحطت من قدرها ، واعترضت على ناسخها والمتفيعين بها ، فعبت كتاب الجوابات وكتاب المسائل ...) •

وذكره في كتابه البخلاء ، قال : (ولولا أنك تجد هذه الابواب وأكثر منها مصورة في كتابي الذي سُمّي (كتاب المسائل) لآتيت على كثير منه في هذا الكتاب) (٥) •

وقال الجاحظ في خاتمة رسالته (مناقب الترك) (٦) : (ولو

(٣) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ٢٥ •

(٤) الحيوان ٩/١

(٥) البخلاء (٥) •

كان هذا الكتاب من كتب المناقضات ، وكتب المسائل
والجوابات (...) .

وذكر ياقوت هذا الكتاب بأسم (كتاب جوابات كتاب
المعرفة ، كتاب مسائل كتاب المعرفة) (٧) .

وقد أورد الجاحظ في هذا الكتاب حجج خصومه في أقسام
الحواس ورد على بشر بن المعتمر وأتباعه الذين سموا بـ
(البشرية) وعلى معمر بن عبّاد السلمي وأتباعه المَعْمَرِيَّة . ثم
عقد فصلا في الردّ على شيخه أبي اسحاق النّظام وأصحابه ، وعقد
فصلا آخر في جواب من يسأل عن المعرفة أباضطرار هي أم
بأكتساب ؟

والجاحظ في كتابه هذا يسلك سبيل المتكلمين في الجدل
والمناظرة ، وهو منهم ، اذ ألف كتابا في فضيلة صناعة الكلام (٨) ،
قال ابن قتيبة (٩) (ان الجاحظ آخر المتكلمين .. وأحسنهم للحجة
استثارة ، واشدهم تلطفا ، لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير
العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشيء
ونقيضه ...) .

وبعد فلا ريب أن نسبت اليه فرقة من المعتزلة سميت بـ
(الجاحظية) (١٠) .

(٦) رسائل الجاحظ ٨٦/١ .

(٧) معجم الادباء ١٠٧/١٦ .

(٨) نشر على هامش الكامل للمبرد ٢٣٨/٢ (طبعة مصر

١٣٢٣ - ١٣٢٤ هـ) ، وقد ظهر محققا في العدد الخاص

بالجاحظ من مجلة المورد الغراء مع أربع عشرة رسالة أخرى .

(٩) تأويل مختلف الحديث ٥٩ .

وصف المخطوطة :

اعتمدت في تحقيق نصوص هذين الكتابين على مصورة
استاذي الفاضل الدكتور أحمد ناجي القيسي لمخطوطة
مكتبة طوبقبو سراي بأستانبول من (فصول مختارة من
كتب الجاحظ) ورقم المخطوطة ١٣٥٨ ، عدد أوراقها ١٣٢ ، مقاسها
٢٥ × ١٩ ، في كل صفحة ٢٧ سطرا .

وقد كتبت بخط فارسي دقيق . جاء في آخرها ما نصه :
(انتهاء الفصول التي اختارها عبيدالله بن حسان من كتب أبي
عثمان عمرو بن بحر رحمه الله . قال في نسخة الاصل : وكتبه
عبيدالله بن علي أبو القاسم لخاصته في أوائل رجب سنة ثلاث
وأربع مائة برك الله له فيه . ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة
في سلخ شعبان المكرم سنة ثمانين وألف على يد العبد الفقير محمد
أبو الصلاح الحنفي . . .)

ويقع كتاب (الرد على المشبهة) في الأوراق ٧٣ - ٧٦ .
أما كتاب (المسائل وانجوابات في المعرفة) فيقع في الأوراق
٨٢ - ٨٦ (١١) .

وأخيرا فاني أرجو أن أوفق - بعون الله تعالى - في احياء
المزيد من تراثنا المجيد والحمد لله أولا وآخرا .

(١٠) ينظر عن الجاحظية : الفرق بين الفرق ١٧٥ ، التبصير في
الدين ٧٦ ، الملل والنحل ٧٥/١ ، اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين ٤٣ ، الفرق الاسلامية ٢٨ ، ذكر المعتزلة ٥٤ .

(١١) وقد سردت محتويات هذه المخطوطة في مقدمة تحقيقي لرسائل
الجاحظ في مجلة المورد م ٧ ع ٤ - ١٩٧٨ فلا داعي لتكرارها .

فصل من صدر كتابه في الرد على المشبهة(*)

أما بعد فقد اختلف أهل الصلاة في معنى التوحيد وان كانوا قد أجمعوا على اتتحال اسمه ، فليس يكون كل من اتتحل اسم التوحيد موحّدا إذا جعل الواحدَ ذا أجزاء وشبّهه بشيء ذي أجزاء • ولو أنّ زاعما زعم أنّ أحدا لا يكون مشبّها وإنّ زعم أنّ الله يثرى بالعيون ويوجد ببعض الحواس حتى يزعم أنه يثرى كما يثرى الانسان ويدرك كما تدرك الالوان كان كمن قال : لا يكون العبد لله مكذبا وإنّ زعم أنّه يقول مالا يفعل حتى يزعم أنه يكذب ولا يكون العبد لله مجورا وإن زعم أنه يعذب من لم يعطه السبب الذي به ينال طاعته حتى يزعم أنّه يجور^(١) • ولو أن رجلا قال : لفلان عندي جذر مائة كان عندنا كقوله^(٢) : لفلان عندنا عشرة وكذلك اذا قال : / (٧٤ أ) فلان قد ناقض في

(*) ينظر في المشبهة : الرد على المشبهة للقاسم الرسي ١٠٥ ، الرد على أهل الزيغ من المشبهين ليحيى بن الحسين ٣١٩ ، الزينة ٢٦٧ ، الفرق بين الفرق ٢٢٥ - ٢٣٠ ، التبصير في الدين ١٠٥ ، الملل والنحل ١/١٠٣ - ١٠٨ ، الفرق الاسلامية ٢٥٥ - ٢٣٠ .

(١) في الاصل : يجوز .

(٢) في الاصل : لقوله .

كلامه ، فهو عندنا كقوله : فلان قد أخل^(٣) في كلامه • ولو قال :
ناقض ولم يخل ، وله عندي جذر مائة وليس له عندي
عشرة ، كان كالذي يقول : ركبت عيراً ولم أركب حماراً ،
وشربت المدامة ولم أشرب خمراً •

وللمعاني دلالات وأسماء ، فمن دل على المعنى بواحدة منها
وباسم من أسمائها لم نسأله أن يوفنا الجميع وأن نأتي على الكل^(٤)
ولم يلتفت الى مَنع ما مَنع إذ كان الذي منع مثل الذي أعطى •
وقد أنبأ الله عن نفسه على لسان نبيّه صلى الله عليه فقال : « ليس
كمثله شيء »^(٤) ، فاقراً القوم بظاهر هذا الكلام ، ثم جعلوه في
المعنى يشبه كل شيء إذ جعلوه جسماً ، فقد جعلوه محدثاً ومخلوقاً
لان دلالة الحدث والشهادة على التدبير ثابتان في الاجسام ، وانما
لزمهما ذلك لانها اجسام لا لغير ذلك ، لان الجسم انما تحرك
وسكن وعجز وقوي وبقي وفني وزاد ونقص ومازج الاجسام
وتخلص لانه جسم ، ولولا أنه جسم لاستحال ذلك منه ولما جاز
عليه هذه الامور التي أوجبتها الجسمية هي للدلالة على حدوث
الاجسام فواجب أن يكون كل جسم كذلك اذا كانت الاجسام
مستوية في الجسمية ، واذا كان كل جسم منها أيضاً لزمه ذلك
لانه فقط •

(٣) في الاصل : احوال •

(٤) الشورى ١١ • وينظر في هذه الآية : تفسير الطبري ١٢/٢٥ •

وقد اختلف أصحاب التشبيه في مذاهب التشبيه ، فقال بعضهم : يقول انه جسم ، وكل جسم طويل • وقال آخرون : يقول انه جسم ولا يقول انه طويل ، لأننا انما جعلناه جسما لنخرجه من باب العدم اذ كنا متى أخبرنا عن شيء فقد جعلناه معقولا متوهما ، ولا معقول ولا متوهم الا الجسم ، وليست بنا حاجة الى أن نجعله طويلا ، وليس في كونه جسما ايجاب لان^(٥) يكون طويلا ، لان الجسم يكون طويلا وغير طويل كالمدور والمثلث والمربع وغير ذلك • ولا يكون الشيء الا معقولا ولا المعقول الا جسما ، فلذلك جعلناه جسما ولم نجعله طويلا • فينبغي — يرحمك الله — لصاحب هذه المقالة ان لم يجعله طويلا أن يجعله عريضا ، وان لم يجعله عريضا أن يجعله مدورا ، وان لم يجعله مدورا أن يجعله مثلثا ، وان لم يجعله مثلثا أن يجعله مربعا • وان أقر بهيئة من الهيئات فقد دخل فيما كره • ولا أعلم المدور والمثلث والمربع والمخمس والمصلب والمزوى وغير ذلك من الهيئات الا أشنع في اللفظ وأحققر في الوهم •



(٥) في الاصل : لا •

(٧٤ ب) فصل منه

وقال أصحاب الرؤية^(٦) : اعتللتم علينا بقول الله تعالى :
« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »^(٧) ، وقلتم :
هذه الآية مبهمة وخرجت مخرج العموم ، والعام غير الخاص ، وقد
صدقتم . كذلك العام الى أن يخصه الله بآية أخرى . وذلك
أن الله تعالى لو كان قال : « لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار » ثم لم يقل : « وجوه » يومئذٍ ناضرة الى ربها
ناظرة^(٨) . لعلمنا أنه قد استثنى الآخرة من جميع الابصار .
قالوا : وانما ذلك مثل قوله : « قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله »^(٩) . ومثل قوله : « وما كان الله
ليطلعكم على الغيب »^(١٠) . وهذه الاخبار مبهمة عامة . فلما
قال : « تلك من أنباء الغيب نوحىها اليك ما كنت تعلمها

(٦) ينظر في الرؤية : الرد على الزنادقة والجهمية ٥٩ ، الاختلاف
في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ٢٣٧ - ٢٣٨ ، -
تأويل مختلف الحديث ٢٠٤ - ٢٠٨ ، الرد على الجهمية
٤٥ ، مقالات الاسلاميين ٢١٨/١ ، ٢٦٣ ، الابانة
١٣ - ٢٠ ، المختصر في اصول الدين ١٩٠ ، الفصل ٤/٣ ،
لمع الادلة ١٠١ ، شرح العقائد النسفية ٧٠ .

(٧) الانعام ١٠٣ .

(٨) القيامة ٢٣ . وينظر في هذه الآية : زاد المسير ٤٢٢/٨ -
٤٢٣ وتفسير القرطبي ١٩/١٠٧ - ١١٠ .

(٩) النمل ٦٥ .

(١٠) آل عمران ١٧٩ .

أنتَ ولا قومك من قبل هذا» (١١)، ولما قال (١٢) أيضا :
« ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » (١٣) علمنا أن القول
الثاني قد خصّ القول الاول ، وكذلك أيضا قوله : « وجوه »
يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة » قد خصّ قوله : « لا تدركه
الابصار » .

قلنا للقوم : ان الله تعالى لما قال : « تلك» (١٤) من أنباء
الغيب نوحىها اليك » بعد أن قال : « وما كان الله ليطلعكم على
الغيب » علمنا أن ذلك استثناء لبعض ما قال : اني لا اطلعكم
على الغيب . وهذا الاستثناء لا اختلاف في لفظه ولا في معناه ،
ولا يحتمل ظاهر لفظه غير معناه عندنا ، وعند خصومنا فيه أشدّ
الاختلاف . وظاهر لفظه يحتمل وجها آخر غير ما ذهبوا اليه .
والفقهاء وأصحاب التفسير (١٥) يختلفون في تأويله ، وهم
لا يختلفون في تأويل قوله : « تلك من أنباء الغيب نوحىها
إليك » (١٦) .

(١١) هود ٤٩ .

(١٢) في الاصل : ولو قال . والصواب ما أثبتنا .

(١٣) البقرة ٢٥٥ .

(١٤) في الاصل : ذلك . وما أثبتناه من المصحف الشريف . وفي
آل عمران ٤٤ : « ذلك من انباء الغيب نوحىه اليك » .

(١٥) ينظر في تفسير هذه الآية : تفسير الطبري ١٨٨/٤ ، تفسير
القرطبي ٢٨٩/٤ .

(١٦) ينظر في تفسير هذه الآية : تفسير الطبري ٥٦/١٢ ، تفسير
القرطبي ٤٩/٩ .

قال : ذكر ابن مهدي^(١٧) عن سفيان^(١٨) عن منصور^(١٩) عن مجاهد^(٢٠) في قوله :

« وجوه » يومئذ ناضرة « الى ربها ناظرة » انه قال : تنتظر ثواب ربّها^(٢١) .

(١٧) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان البصري اللؤلؤي الحافظ ، راوثة ، ت ١٩٨ هـ . (تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠ ، تذكرة الحفاظ ٣٢٩ ، طبقات الحفاظ ١٣٩) .

(١٨) سفيان بن سعيد الثوري ، راوثة ، قيل عنه : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، ت ١٦١ هـ (وفيات الاعيان ٣٨٦/٢ ، تهذيب التهذيب ١١١/٤ ، غاية النهاية ٣٠٨/١) .

(١٩) منصور بن المعتمر الكوفي ، راوثة ، ت ١٣٢ هـ (المعارف : ٤٧٤ ، حلية الاولياء ٤٠/٥ ، تهذيب التهذيب ٣١٢/١٠) .

(٢٠) مجاهد بن جبر المكي ، من التابعين والائمة المفسرين ، قرا على ابن عباس ، ت نحو ١٠٣ هـ . (ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١١/٣ ، طبقات المفسرين ٣٠٥/٢) .

(٢١) في تفسير مجاهد ٧٠٨ : (قال : تنظر الى ربها ، حسنها الله بالنظر اليه ، وحق لها ان تنظر وهي تنظر الى ربّها عز وجل) . وفي تفسير الطبري ١٩٢/٢٩ عن مجاهد : (تنتظر منه الثواب من ربّها) . وفي رواية اخرى عنه : (تنتظر رزقه وفضله) .

وذكر أبو معاوية (٢٢) عن اسماعيل بن أبي خالد (٢٣) عن
أبي صالح (٢٤) مثل ذلك • وأبو صالح ومجاهد من كبار أصحاب
ابن عباس (٢٥) ومن العامة أو من المتقدمين في التفسير • فهذا
فرق "بَيْنَ" •

وبعدُ ففي حجج العقول انّ الله لا يشبه الخلقَ بوجه من
الوجوه • وإذا كانَ قولهم في النظر يحتمل ما قلتم وما قال
خصمكم مع موافقة أبي صالح ومجاهد في التأويل وكان ذلك
أولى بنفي التشبيه الذي قد دلّ عليه العقل ثم القرآن : « ليس
كمثله شيء » (٢٦) كان التأويل ما قال خصمكم دون ما قلتم •



(٢٢) محمد بن خازم التيمي الكوفي الضرير الحافظ ، من رواة
الحديث ، ت ١٩٥ هـ . (الغبر ١/٣١٨ ، تذكرة الحفاظ
٢٩٤ ، نكت الهميان ٢٤٧) •

(٢٣) اسماعيل بن أبي خالد البجلي الاحمسي الكوفي ، من حفاظ
الحديث الثقات ، ت ١٤٦ هـ . (تذكرة الحفاظ ١٥٣ ، خلاصة
١٥٣ ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٨٦/١ ، طبقات
الحفاظ ٦٦) •

(٢٤) أبو صالح السمان ذكوان الزيات المدني ، من رواة الحديث
الثقات ، ت ١٠١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٨٩ ، الغبر ١/١٢١ ،
طبقات الحفاظ ٣٣) •

(٢٥) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم الرسول (ص) ،
ت ٦٨ هـ (صفة الصفوة ١/٣١٤ ، أسد الغابة ٣/٢٩٠ ،
الاصابة ٤/١٤١) •

(٢٦) الشورى ١١ •

(١٧٥) فصل منه

ثم رجع الكلام الى أول المسألة حيث جعلنا القرآن بيننا قاضيا واتخذناه حاكما ، فانا قد رأينا الله استعظم الرؤية استعظاما شديدا وغضب على مَنْ طلب ذلك وأراده ثم عذب عليه وعجَّب عباده ممن سأله ذلك وحذّرهم أنْ يسلكوا سبيل الماضين فقال في كتابه لنبيّه صلى الله عليه : «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ» (٢٧) •

فانْ كان الله تعالى في الحقيقة يجوز أنْ يكون مرئيا ، وبيعض الحواس مدركا ، وكان ذلك عليه جائزا فالقوم انما سألوا أمرا ممكنا وقد طمعوا في مطمع فلم غضب هذا الغضب واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام وضرب به هذا المثل وجعله غاية في الجرأة وفي الاستخفاف بالربوبية ؟

فانْ قالوا لان ذلك كان لا يجوز في الدنيا • وقدرة الله تعالى على ذلك في الدنيا كقدرته عليه في الآخرة •

(٢٧) النساء ١٥٣ •

فان° قالوا : ليس لذلك استعظم سؤالهم ولكن° لانهم تقدموا من بين يديه •

قلنا : ولم° صار هذا السؤال مقدما عليه واستخفافا به ،
والشيء الذي طلبوه هو متجوز° في عقولهم وقد أطمعهم فيه
إذ جوزوه عندهم والقوم لم يسألوا ظلماً ولا عبثاً ولا محالاً ومن
ارادة المسؤول الفضل وانه فاعل ذلك بهم يوماً •

فان° قالوا : انما صار ذلك الطلب كفراً وذنباً عظيماً لانه
قد كان ، فقال لهم : اني لا أتجلى لاحد في الدنيا •

قلنا : فلو كان الامر على ما تقولون لذكر (٢٨) تقدمهم بعد
البيان بل قال :

« فقد سألوا موسى أكبر° من ذلك فقالوا أرنا الله°
جهره° » (٢٩) لا غير ذلك •

فان° قالوا : انما غضب عليهم لانه ليس لاحد أن° يظن
أن° الله° يثرى جهره° •

قلنا : وأي° شيء تأويل قول القائل : (رأيتُ الله° جهره°)
إلا° المعاينة أو بآعلان المعاينة • قال الله عز ذكره : « لا يحب الله°
الجهر° بالسوء من القول » (٣٠) ، والجهر° هو الاعلان

(٢٨) في الاصل : ولذكر •

(٢٩) النساء ١٥٣ •

(٣٠) النساء ١٤٨ •

والرفع والاشاعة ، فهل يراه أهل الجنة إذا رفع عنهم الحجب ودخلوا عليه وجلسوا على الكراسي عنده إلا جهره كما تأولتم الحديث الذي رويتموه عن النبي صلى الله عليه :

(لا تَضَامُثُونَ فِي رُؤَيْتِهِ كَمَا لَا تَضَامُثُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) (٣١) "إِلَّا" أَنْ تَزْعُمُوا أَنَّكُمْ يَرُونَ رَبَّهُمْ سِرًّا لَأنَّهُ لَيْسَ الْإِلَّا السِّرَّ وَالْجَهْرَ وَلَيْسَ الْإِلَّا الْإِعْلَانُ وَالْخَفَاءُ / (٧٥ب) وَلَيْسَ الْإِلَّا الْمَعَايِنَةُ •

فَإِنْ قَالُوا : نَحْنُ لَا نَقُولُ بِالْمَعَايِنَةِ ، وَنَقُولُ : نَرَاهُ ، وَلَا نَقُولُ : نَعَايِنُهُ •

قُلْنَا : وَلِمَ وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِكُمْ فَمَنْ جَعَلَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا : نَرَاهُ بِالْعَيْنِ وَمَنْعَكُمْ أَنْ تَقُولُوا : نَعَايِنُهُ بِالْعَيْنِ ؟ وَهَلِ اشْتَقَّتِ الْمَعَايِنَةُ إِلَّا مِنَ الْعَيْنِ ؟ •

فَإِنْ قَالُوا : لَا يَجُوزُ أَنْ يُلْفَظَ بِالْمَعَايِنَةِ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَقَعُ عَيْنُهُ عَلَيَّ وَتَقَعُ عَيْنِي عَلَيْهِ • فَأَمَّا إِذَا كَانَ أَحَدُنَا ذَا عَيْنٍ

(٣١) صحيح مسلم ٤٣٩ ، سنن ابن ماجه ٦٣ ، تأويل مختلف الحديث ٢٠٤ ، النهاية ١٠١/٣ . ويجوز ضم التاء وفتحها من (تضامون) على تفاعيلون وتَتَفَاعَلُونَ . وروي بتشديد الميم أي : لا ينضم بعضكم الى بعض وتزدحمون وقت النظر اليه بل كلٌّ ينفرد برؤيته . وروي بتخفيف الميم ، من الضيم وهو انظلم والمعنى : لا ينالكم ضيم في رؤيته ، فيراه بعضكم دون بعض ، بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى .

والآخرُ ذا عين فقير جائز أن تُسمى الرؤية معاينة ، وانما المعاينة مثل المخاصمة ، ولا يجوز أن أقول : خاصمتُ ، الاً وهناك مَنْ يخاصمني •

قلنا : قد يقول الناسُ : أسلّمَ فلان حين عاينَ السيف ، وليس للسيفِ عَيْنٌ ، وليس هناك مَنْ يقاتله • على أنكم قد تزعمون أن اللهَ عينا لا كالعيون ، ويدأ لا كالأيدي ، وله عين بلا كيف وسمع بلا كيف •



فصل منه

وقالت أيضاً المُشَبَّهة : الدليل على أنه جسم (٣٢) قوله عزّ ذكره : « وجاءَ ربُّك والملكُ صفّاً صفّاً » (٣٣) • قالوا : فلا يجوز الى مكان هو فيه ، ولو جاز أن يجيء الى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه • قالوا : فإذا أخبر الله أنه في السموات والارض •

وقلتم : انّ الدنيا كلها لا تخلو منه وإنه فيها •

(٣٢) ينظر في المُجَسِّمة : مقالات الاسلاميين ١/٢٥٧ - ٢٥٩ ، المختصر في أصول الدين ١٨٤ ، كشاف اصطلاحات الفنون ١/٣٧٣ •

(٣٣) الفجر ٢٢ •

فإذا كان الامر كذلك ، وكانت الدنيا محدودة ، وكان الذي يكون في بعضها أو في كلها محدودا ، إذا كان لم يجاوزها ولو جاوزها لخرج الى مكان ، ولا يجوز أن يخرج منها الا الى مكان .

وقالوا : قد أخبر الله أنه في السموات والارض ، والله لا يخاطب عباده الا بما يعقلون ، ولو خاطبهم بما لا يعقلون لكان قد كلفهم ما لا يطيقون ، ومن خاطب من لا يفهم بالفهم عنه فقد وضع المخاطبة في غير موضعها ، فهذا ما قال القوم .
ونحن نقول : إن الشيء قد يكون في الشيء على وجوه ، وسنذكر لك الوجوه ونلحق بكل واحد منها بشكله وبما يجوز فيه إن شاء الله .

قلنا للقوم : أليس قد خاطب الله البكم الصم الذين لا يعقلون ، والذين خبر أنهم لا يستطيعون سمعا .
فإن قالوا : إن العرب قد تسمى^(٣٤) المتعامي أعمى والمتصامم أصم ، ويقولون لمن عمل عملا من لا يعقل : لا يعقل . وإنما الكلام محمول على كلام وذلك أن المتعامي إذا تعامى صار في الجهل كالأعمى ، فلما أشبهه من وجه سمي بأسمه .

(٣٤) في الاصل : تسامي .

قلنا : قد صدقتم ولكن° ليس / (١٧٦) الاصل والمستعمل
في تسميتهم بالعمى انما هو الذي لا ناظر له • فإذا قالوا ذلك قلنا:
فلمَ زعمتم أن° له ناظراً وأخذتم بالمجاز والتشبيه وتركتم
الاصل الذي هو الاسم محمول عليه •

فإن° قالوا : إنما قلنا من أجل أن° الاول لا يجوز على
الله تعالى والثاني جائز عليه • والله لا يتكلم كلاماً^(٣٥) إلا° ولذلك
الكلام وجه ، إما أن° يكون هو الاصل والمحمول عليه وإما أن
يكون هو الفرع والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازاً •

فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عادل غير جائر ، وهو
جل° جلاله يقول : « صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فهِمٌ لَا يَعْقِلُونَ »^(٣٦)
علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين كانوا قد كَلَّفُوا ما لا
يطيقون ، والمُكَلَّف لعباده ما لا يطيقون جائر ظالم ، فإذا كان
لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا
منقوصين ، وإذا كانوا كذلك صار الواجب أن يحكم بالفرع
والمجاز ويدع الاصل والمحمول عليه المجاز •

قلنا : هو أعمى وأصم° ولا يعقل ، على أنهم تعاموا وتصاموا
وعملوا عمل مَنْ° لا يعقل • فإذا قالوا ذلك قلنا لهم : فأنّا لا

(٣٥) في الاصل : كلام •

(٣٦) البقرة ١٨ •

تعدّ هذا المذهب في قوله : « ناضرة » (٣٧) « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » (٣٨) ، وفي قوله : « وهو الله في السموات والارض » (٣٩) وقد يقولون : جاءنا فلان بنفسه ، ويقولون : جاءنا بولده ، وجاءنا بخير كثير ، وذلك على معانٍ مختلفة • وقد يقولون : جاءتنا السماء بأمر عظيم ، والسماء في مكانها • وقد يقولون أيضاً : جاءتنا السماء ، وهم انما يريدون النعيم الذي يكون به المطر من شقّ السماء وناحتها ووجهها •

-
- (٣٧) القيامة ٢٣ .
 - (٣٨) الفجر ٢٢ .
 - (٣٩) الانعام ٣ .

فصل من صدر كتابه

المسائل والجوابات في المعرفة

(١٨٢)/ بالله نستعين^١ وعليه نتوكل^٢ وما توفيقنا إلا^٣ بالله .
اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها
تبايناً مفرطاً . فزعم قوم^٤ أن المعارف كلها فعل^٥ الفاعلين إلا^٦
معرفة^٧ لم يتقدم^٨ منها سبب^٩ منهم ولم توجب^{١٠}ها علّة^{١١} من أفعالهم
ولم يرجعوا الى معرفة^{١٢} الله^{١٣} ورسوله^{١٤} والعلم^{١٥} بشرائعه^{١٦} ولا الى كل^{١٧}
ما فيه الاختلاف^{١٨} والمنازعة^{١٩} وما لا تعرف^{٢٠} حقائقه^{٢١} إلا^{٢٢} بالتفكير^{٢٣}
والمناظرة^{٢٤} دون درك^{٢٥} الحواس^{٢٦} الخمس^{٢٧} (١) . فزعموا أن^{٢٨} ذلك^{٢٩}
أجمع فعلهم على الاسباب المرجية والعلل المتقدمة ، وجعلوا مع^{٣٠}
ذلك سبيل^{٣١} المعرفة^{٣٢} بصدق^{٣٣} الاخبار^{٣٤} كالعلم^{٣٥} بالامصار^{٣٦} القائمة^{٣٧}
والايام^{٣٨} الماضية^{٣٩} كبدر^{٤٠} وأحد^{٤١} والخندق^{٤٢} وغير ذلك من الوقائع^{٤٣}
(٨٢ب) والايام^{٤٤} ، وكالعلم^{٤٥} بفرغانة^{٤٦} (٢) والاندلس^{٤٧} والصين^{٤٨}
والحبشة^{٤٩} وغير ذلك من القرى^{٥٠} والامصار^{٥١} . وسبيل^{٥٢} الاكتساب^{٥٣}

(١) ينظر في اقسام الحواس : مقالات الاسلاميين : ٣١/٢ - ٣٣ ،
اصول الدين ٩ .

(٢) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد
تركستان (معجم البلدان ٢٥٣/٤) .

والاختيار إن كانوا هم الذين نظروا حتى عرفوا فضل ما بين
المجيء الذي لا يكذب مثله والمجيء الذي يمكن الكذب في مثله،
فزعموا أن جميع المعارف سبيلها سبيل "واحدة" ووجوه
دلائلها وعللها متساوية إلا ما وجد الحواس بفترة
وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة فكان هو القاهر
للحاسة والمستولي على القوة من غير أن يكون من البصر
فتتح ومن السمع اصغاء ومن الأنف شم ومن الفم ذوق
ومن البشرة مس . فإن ذلك الوجود فعل الله دون
الإنسان على ما طبع عليه البشر وركب عليه الخلق .

قالوا : فإذا كان درك الحواس الخمس إذا تقدمت الأسباب
وأوجبته العلل فعل المتقدم فيه والموجب له . ودرك الحواس
أصل المعارف وهو المستشهد على الغائب والدليل على الخفي ،
وبعد صحته تصح المعارف وبعد فساد تفسد ، فالذي
تستخرجه الأذهان منه وتستشهد به عليه كعلم التوحيد والتعديل
والتجويز وغامض التأويل وكل ما أظهرته العقول بالبحث
وأدركته النفوس بالفكر من كل علم وصناعة الحساب والهندسة
والصياغة والفلاحة أجدر أن يكون فعله والمنسوب إلى كسبه .

قالوا : فالدليل على درك الحواس فعل الإنسان على ما
وصفنا واشترطنا من إيجاب الأسباب وتقدم العلل أن الفاتح بصره

لو لم يفتح لم يدرك ، فلمّا كانَ البصرُ قد يوجد مع عدم الادراك ولا يعدم الادراك مع وجود الفتح كان ذلك دليلاً على أنّ الادراك إنّما كان لعلّة الفتح ولو لم يكن لعلّة البصر لانه لو كان لعلّة صحة البصر كانت الصحة لا توجد أبداً إلاّ والادراك موجوداً^(٣) . فإذا كانت الصحة قد توجد مع عدم الادراك ولا يعدم الادراك مع وجود الفتح كان ذلك شاهداً على أنه إنّما كان لعلّة الفتح دون صحة البصر . وقالوا : ولأنّ طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتى جعلها الفاتح بالفتح عاملة ، ولأن الفتح علّة الادراك ومقدمة بين يديه وتوطئة له ، وليس الادراك علّة الفتح ولا مقدمة بين يديه ولا توطئة له ، فواجب أن يكون فعل الفاتح لأنّ السبب إذا كان موجباً فالمسبب تبع له .



فصل منه

(١٨٣) / ثم قالوا بعد الفراغ من درك الحواس في معرفة الله ورسله وكلّ ما فيه الاختلاف والتنازع أنّ ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون يحدث من الانسان لعلّة النظر المتقدّم أو يكون يحدث على الابتداء لا عن

(٣) في الاصل : موجودا .

علّةٍ موجبةٍ وسببٍ متقدّمٍ • فإنّ كانوا أحدثوه على الابتداء ولا فعل أولى بالاختيار ولا أبعد من الاضطرار منه ، وإنّ كان إنما كان لعلّةٍ النظر المتقدم كما قد دللنا في صدر الكلام على أنّ درك الحواسِ فعلُ الانسان إذا تقدّمَ في سببهِ فالعلمُ باللهِ وكتبهِ ورُسُلِهِ أجدرُ أنّ يكونَ فعَلَهُ أو كان من أجل نظره علِمَ ومن جهة بحثه أدركَ • فهذه جُمْلَةُ دلائلِ هؤلاءِ القومِ ورؤيسهم بشر بن المعتمر^(٤) • ثم هم بعد ذلك مختلفون في درك الحواسِ إلّا ما اعتمد ادراكه بعينه وقصد اليه بالفتح والارادة لان الفتح نفسه لو لم يكن معه قصدٌ وارادة ما كان فعل الفاتح فكيف يجوز أنّ يكون الادراك فعله من غير قصد ولو جاز أنّ يكون الفتح فعل الانسان من غير أنّ يكون ارادة وقصد اليه ما كان بين فعل الانسان وبين فعل غيره فرقٌ لانه كان لا يجوز أنّ يكون ذهابُ الحج إذا لم يدفعه ولم يقصد اليه ولم يخطر له على بال فعَلَهُ ، فكذلك الادراك اذا لم يخطر على باله ولم يقصد اليه ولم يتعمده لا يكون فعله •



(٤) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي رئيس معتزلة بغداد ، سُمي أتباعه : البِشْريّة ، ت ٢٢٦ هـ (الفرق بين الفرق ١٥٦ ، الملل والنحل ٦٤ ، ذكر المعتزلة ٥٢) .

فصل منه

وليس على المخبر نفسه خصمه والواصف لمذهب غيره أن°
يجعل باطلهم حقاً وفاسدهم صحيحاً ولكن عليه أن° يقول بقدر
ما تحتمله النحلة وتتسع له المقالة • وعليه أن° لا يحكي عن
خصمه ويخبر عن مخالفه إلا° وأوفى منازل أن لا يعجز عما بلغوه
ولا يعيا عما أدركوه •



فصل منه

وقد زعم آخرون أن° المعارف ثمانية أجناس ، واحد منها اختيار
وسبعة منها اضطرار • فخمسة منها درك الحواس الخمس ثم المعرفة
بصدق الاخبار كالعلم بالقرى والامصار والسير والآثار ثم
معرفة الانسان إذا خاطبه صاحبه أنه موجه بكلامه اليه وقاصد° به
نحوه • وأما الاختيار فكالعلم بالله ورسله وتأويل كتابه والمستنبط
من علم الفتيا وأحكامه وكل° ما كان فيه الاختلاف والمنازعة
وكان سبيل علمه النظر والفكرة • ورئيس / (٨٣ب) هؤلاء أبو
اسحاق (٥) •

(٥) هو ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، سُمي أتباعه
بالنظامية ، كان أعظم شيوخ المعتزلة وأقدرهم على الكلام
واكثرهم تعمقاً في الفلسفة ، وهو شيخ أبي عثمان الجاحظ ،
قال الجاحظ : (مارأيت أحداً اعلم بالكلام والفقہ من النظام)
ت ٢٣١ هـ (الفرق بين الفرق ١٣١ ، الملل والنحل ١/ ٥٣ ،
اعتقادات فرق المسلمين ٤١) •

وزعم مُعَمَّرٌ^(٦) أنَّ العلم عشرة أجناس ، خمسة منها درك الحواس ، والعلم السادس كالسير الماضية والبلدان القائمة ، والسابع علمك بقصد المخاطب اليك واراדתه إيَّاك عند المجاورة والمنازعة • وقبل ذلك وجود الانسان لنفسه وكان يجعله أول العلوم ويقدمه على درك الحواس ، وكان يقول : ينبغي أن يقدم وجود الانسان لنفسه على وجوده لغيره ، وكان يجعله علماً خارجاً عن درك الحواس ، لأنَّ الانسان لو كان أعمى لأحسَّ نفسه ولم يحس صورته^(٧) ولو كان أخشيم لأحسَّ نفسه ولم يحس رائحته • وكذلك سبيل المذاقات والملاص ، فلمَّا كان المعنى كذلك وجب أن يفرد من درك الحواس ويجعل علماً ثامناً على حياله وقائماً بنفسه • ثم جعل العلم التاسع علم الانسان فإنه لا يخلو أن يكون قديماً أو حديثاً • وجعل العلم العاشر علمه بأنَّه محدث وليس بقديم •



(٦) معمر بن عبّاد السلمي ، تُنسب اليه المُعَمَّرِيَّة ، ت ٢٢٠ هـ (الفرق بين الفرق ١٥١ ، التبصير في الدين ٧٠ ، الملل والنحل ١/٦٥) •

(٧) في الاصل : صوته •

فصل منه

ولست الواجد ذا الكلام والايجاز في الادخال على بشر بن
المعتمر في درك الحواس ، ثم على أبي اسحاق في ذلك وفي غيره مما
ذكرت من مذاهبه وتركه قياس ما بنى عليه إن شاء الله لنصير الى
الكلام في المعرفة فإني اليه أجريت وإيّاها اعتقدت ولكنني اجتنب
أن أبدأ فساد أصولهم قبل فروعهم فإن ذلك أقبل للداء وأبلغ في
الشفاء وأحسم للعرق وأقطع للمادة وأخف في المؤنة على مَنْ
قرأ الكتاب وتدبّر المسألة والجواب ، وبالله ذي المنّ والطّول
نستعين •



فصل من ردهً على أبي إسحاق النظام وأصحابه

يُقال لهم : حدثونا عن العلم بالله ورسله وتأويل كتبه وعن علم القدر وعلم المشبه والاسماء والاحكام أباكتساب هو أم بأضطرار ؟ فإن زعموا أنه باكتساب قيل لهم : فخبّرونا عن علمكم بأنّ ذلك أجمع اكتساب أباكتساب هو أم بأضطرار ؟ فإن قالوا : باكتساب • قيل لهم : أو ليس اعتقاد خلاف ذلك أجمع باكتساب ؟ فإذا قالوا : نعم • قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحقّ واعتقاد الباطل باكتساب ، أفليس كل واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب ؟ فإذا قالوا : نعم • قيل لهم : أو ليس كل واحد منهما ساكن القلب / (١٨٤) الى مذهبه واختياره ؟ فإذا قالوا : نعم • قيل لهم : فما يؤمنُ المحقّ من الخطأ وليس سكون القلب وثقته علامة للحقّ لأنّ ذلك لو كان علامة لكان المبطل محقّاً إذ كان فيه قد يجد من السكون والثقة مالا يجد المحقّ •

قلنا : وما معنى خلافه إلاّ أنّ يكون المبطل شاكاً أو يكون عارفاً بتقصيره أو يكون مكترثاً لو هن يجده ؟ فإذا لم يكن^(٨) كذلك فلا فرق بين المعقودين •

فإنّ قالوا : إنّ فرق ما بينهما أنّ سكون قلب المحقّ حقّ في عينه ، وسكون قلب المبطل باطل في عينه •

(٨) في الاصل : يكون •

قلنا : أو ليس ذلك غير محوّل لسكون المبطل عن الثقة
الى الاضطراب ولا مغيّره انى الاكتراث •

فإذا قالوا ذلك قيل لهم : فما يؤمن المحقّ أن يكون
سكونه أيضاً باطلاً في عينه اذا كان سكونه لا ينفصل من سكون
المبطل ؟

ولئن كان السكون بينهما ظاهر الاجتهاد والعبادة فمن
أظهر اجتهاداً من الرهبان في الصوامع والخوارج في بذل
النفوس ؟

فإن قالوا : الفرق بينهما أن المحقّ قد استشهد الضرورات
والمبطل لم يستشهدها •

قلنا : فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات^(٩)
أو لم يستشهدها حتى لو سأله سائل فقال : ما يؤمنك من
الخطأ ؟ لقال : استشهادي الضرورات •

فإن زعموا أن المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد
استشهد الضرورات لأنّ ذلك هو علامة الحقّ والفصل بينه وبين
الباطل •

قلنا : وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قط أو نظر في شيء إلا
نظره ؟ إنما هو على أصل الاضطراب لان المفكر لا يبلغ من جهله
أن يستشهد الخفي بل من شأن الناس أن يستدلوا بالظاهر على
الباطن إذا أرادوا النظر والقياس ثم بعد ذلك يخطئون أو
يصيبون •

(٩) في الاصل : الضرورات •

قلنا : فينبغي أن يكون كلّ مبطل في الارض قد علم حين يقال له : ما يؤمنك أن تكون مبطلا ؟ أنّه لم يستشهد الضرورات وأنكر أصله الذي قاس عليه واستنبط منه ضرورة ، وأنّه إنسا قال بالعسف أو بالتقليد • وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنّهم على خطأ أو يكونوا شكّاكاً أو يكونوا عند أنفسهم مستشهادين للضرورات وإنّ كانوا قد تركوا ذلك عند بعض المقدمات • وإنّ كانوا شكّاكاً فيها فليس على ظهر الارض مخطيء" إلا وهو عالم" بموضع خطئه أو شك / (٨٤ب) فيه أو كانوا عند أنفسهم مستشهادين للضرورات • فما يؤمنكم أنّ تكونوا كذلك ؟

فإن قالوا : ليس أحد يعرف أنّ علامة الحقّ استشهاد الضرورات غيرنا •

قلنا : أو لستم معشر أبي اسحاق النّظّام تختلفون في أمور كثيرة ؟ كنتم تخالفون صاحبكم خلافاً كثيراً ، وكلّكم إذا سأله سائل : [ما] يؤمنك أن يكون على باطل ؟ قال : لاني مستشهد للضرورات • فهل يخلو أمركم من أحد وجهين إمّا أنّ تكونوا صادقين على أنفسكم أو كاذبين عليها ؟ فإنّ كنتم صادقين فقد صار قلبُ المُحقّ كقلبِ المبطل ، إذ كان كلّ واحد عند نفسه مستشهداً للضرورات ، وإنّ كنتم كاذبين فهل منكم محقّ إلاّ وهو يلقي الخصم بمثل دعواه في استشهاد الضرورات ؟ وهل منكم واحد على حياله مُحِقّاً أو مُبطلاً إلاّ وجوابه لنا مثل جواب صاحبه ؟ فإذا كانت القلوب قد تكون عند أنفسها مستشهادة



للضرورات وهي غير مستشهادة لها ، وكون القلب كذلك هو علامة الحقّ فما الفرقُ بينَ قلبِ المحقِّ والمبطلِ ؟

ومع ذلك إنّنا وجدنا صاحبكم قبلكم ووجدناكم بعده قد رجعتُم عن أقاويل كثيرة بعد أنْ كانَ جوابُكم لمن سألَكم : ما يؤمنكم أنْ يكونوا على باطل ؟ أن يقولوا : استشهدنا للضرورات • ونحن لو سألناكم عمّا رجعتُم عنه فقلنا لكم : لعلكم على خطأ ولعلكم من هذه الاقاويل على غرر ، لم يعد جوابكم استشهاد الضرورات •



فصل من هذا الكتاب في الجوابات

ثم انني واصف "قولي في المعرفة ومجيب" خصمي في معنى الاستطاعة وفي أي وجههما يحسن التكليف وتثبت الحجة ؟ ومع أنها تسمح التكليف وتسقط الحجة فأول ما أقول في ذلك : إن الله جل ذكره لا يُكَلِّفُ أحداً فِعْلاً شيئاً ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر زائل الحجة ، وإن يكون العبد كذلك إلا وهو صحيح البنية معتدل المزاج وافر الاسباب مخلص السرب عالم بكيفية الفعل حاضر النوازع معدل الخواطر عارف بما عليه وله . وأن يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال المحدودة والحالات المعروفة التي عليها مجاري الافعال ومن أجلها يكون الاختيار ولها يحسن التكليف ويجب العرض ويجوز العقاب ويحسن الثواب . ولو كان الانسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً ، كان مَنْ لا سُلْمَ له للصعود مستطيعاً وأن يكون / (١٨٥) أيضاً مع ذلك كله للفعل مختاراً ، وله في الحقيقة دون المجاز مستطيعاً إلا وجميع أوامره في وزن جميع زواجره حتى اذا قابلت بين مرجوهما ومخوفهما وبين تقديم اللذة وخوف الآخرة وبين تعجيل المكروه وتأجيل العافية وجدتها في الجذب والرفع في القبض والبسط سواء . ولا يكون أيضاً كذلك إلا وبقاؤه في الحال الثانية معلوم لان الفعل حارس والطباع محروسة والنفس عليها موقفة . فإن كان الحارس أقوى من طباعها كان ميل النفس معه طباعاً لأن من شأن النفس الميل الى أقوى الخارجين وأمتن السبيين ، ومتى كانت القوتان متكافئتين كان الفعل اختيارياً ومن حد الغلبة خارجاً وإن كانت الغلبة

تختلف في اللين والشدة وبعضها أخفى وبعضها أظهر
كفرار الانسان من وهج السموم إذا لم تحضره دواعي الصبر
وأسباب المكث وهو من لهب الحريق أشد نفرةً وأبعد وثبةً
وأسرع حركةً • ومتى قويت الطبيعة على الفعل أوهنته وغيرته •
ومتى توهن وتغير ، تغيرت المعاني في وهمه وتمثلت له على غير
حقيقتها • ومتى كان كذلك كان من ادراك ما عليه في العاقبة
وزينت له الشهوات ركوباً ما في العاجلة •

ومتى أيضاً فضلت قوى عقله على قوى طباعه أوهنت
طبائعه • ومتى كانت كذلك أثر الحزم والآجلة على اللذة العاجلة
طبعا لا يمتنع منه وواجباً لا يستطيع غيره • وإنما تكون النفس
مختارة في الحقيقة ومجانبة لفعل الطبيعة إذا كانت أخلاطها
معدلة وأسبابها متساوية وعللها متكافئة • فإذا عدل الله تركيبه
وسوى أسبابه وعرفه ما عليه وله كان الانسان للعقل مستطيعاً
في الحقيقة وكان التكليف لازماً له بالحجة •

ولولا أنك تحتاج الى التعريف بأنّ المأمور المنهي لأبد له
من التسوية والتعديل لما قال الله تعالى : « والارض وما طحاها
ونفس وما سواها فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » (١٠) • ولو
جاز أن يعلم موضع غيها ورشدها من غير أن يسويها ويهيئها
لكان ذكر التسوية فضلاً من القول • والله يتعالى عن هذا
وشبهه علواً كبيراً •



فصلٌ في جوابِ مَنْ يسألُ عن المعرفةِ أباضطرارِ هي أم: باكتسابِ

قلنا إنَّ الناسَ لم يعرفوا اللهَ إلاَّ من قبل الرُّسُلِ ، ولم يعرفوه من قبل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان .

على أنَّنا لانشك أنَّ رجالا من الموحدين قد عرفوا وجوها من الدلالة على الله بعد أنَّ عرفوه من / (٨٥ب) قبل الرسل فتكلفوا من ذلك مالا يجب عليهم وأصابوا من غامض العلم مالا يقدر عليه عوامهم من غير أن يكونوا تكلّفوا ذلك لشكٍّ وجدوه أو حيرة خافوها لأن اعلام الرسل مقنعة ودلائلها واضحة وشواهدا متجلية وسلطانها قاهر وبرهانها ظاهر .

فإنَّ قالوا : أبأكتساب علموا صدق الرُّسُل أم بأضطرار ؟
قلنا : بأضطرار .

فإنَّ قالوا : فخبِّرونا عن عاين النبي صلى الله عليه وحجته والمنتبي وحيلته . كيف يعلم صدق النبي من كذب المنتبي وهو لم ينظر ولم يفكر ؟

فإنَّ قلتم : انه نظر وفكّر فقد رجعتم الى الاكتساب .
وانَّ قلتم : انه لم ينظر ولم يفكر فلمَ عرف الفصل بينهما دون أن يجهله ؟ وكيف علم ذلك وهو لا يعرف الحجة من الحيلة ؟
وما يؤمنه أن يكون مبطلا إذْ كان لم ينظر في أمور الدنيا ولم يختبر معانيها حتى يعرف الممتنع من الممكن وما لايزال يكون بالاتفاق مما لا يمكن ذلك فيه ؟ وكيف لم يعرف العادة ومجرى

الطبيعة والى أين تبلغ الحيلة وأين تعجز الحيلولة^(١١) ؟ وعند أي ضربٍ يسقطان وعلى أي ضربٍ يقومان ؟ ولم عرف صدق النبي حين عاين شاهده وأبصر أعاجيبه من غير امتحان لها وتعقب لمعانيها دون أن يعقد صدق المتنبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخدعه وحيلته ؟ بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكرة فيها وتقلب لأمرها والدنيا بأسرها دلالة عما عرف صدق النبي حين أبصر دلالاته من غير تفكير فيها وتقلب لأمرها . وقد علمنا أن الدنيا دالة كما أن شواهد النبي دالة . ومتى كان ظاهر أحدهما يغني عن التفكير كان الآخر مثله إذا لم يكن في القياس بينهما فرق ولا في المعقول فضل .

قلنا : إن تجارب البالغ قبل أن يهجم على دلالات الرسل يأتي على جميع ذلك . ولعمري أن لو كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري وتصريف الدهور وملكات الدنيا والتجربة لتصريف أمورها لما وصل الى معرفة صدق النبي إلا بعد مقدمات كثيرة وترتيبات منزلة لان مشاهد الشواهد انما يضطره المشاهدة لها إذا كان قد جرب الدنيا وعرف تصرفها وعاداتها قبل ذلك ولو لم يكن جربها قبل ذلك حتى عرف منتهى قوة بطش الانسان وحيلته وعرف الممكن من الممتنع ، وما يمكن كونه بالاتفاق مما لا يمكن لما عرف / (١٨٦) ذلك .

(١.١) في الاصل : الحيلوه .

فإن قالوا : وكيف جرّب ذلك وعقله وأتقنه وحفظه وهو طفل غرير وحدث صغير لأنّ غير البالغ طفل الى أن يبلغ وحين يبلغ • فقد هجم على النبي صلى الله عليه وشواهده أو هجم عليه النبي بشواهده إمّا بخبر مقنع أو ببيان شافٍ ففي أية الحالين جرّب وعرف وميز وحفظ أو في حال الطفولية والغرارة وهذا غير معروف في التجربة والعادة والذي عليه ركبت الطبيعة أم في حال البلوغ والتمام ، وحال البلوغ بين الحال التي أبلغه الله الرسالة وقاده الى رؤية الحجة واستماع البرهان ومخرج الرسالة •

فإن كان الامر كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل الى العلم بصدق النبي وقد أراه برهانه وأسمعه حججه حتى يمكث بعد ذلك دهرأ يمتحن الدنيا ويتعقب أمورها ويعمل التجربة فيها • فإنّ كان ذلك كذلك فلم سميتموه بالغاً وليس في طاقته بعد العلم بفصل ما بين النبي والمتنبي ؟

قلنا : إنّ التجربة على ضريين أحدهما أن يقصد الرجل الى امتحان شيء ليعرف مخبره عما عرف منظره ، والآخر أن يهجم على علم ذلك من غير قصد وقد يُسمّى الانسان مجرباً قاصداً أو هاجماً فيزعم أن البالغ منذ سقط من بطن أمه الى أن يبلغ مقلّب في الامور المحتلة ومُصَرِّف في خلال الحالات المعرفة التي تلحقه الدنيا بما تُورد عليه من عجائبها ويزداد في كلّ ساعة معرفة وتفيده الايام في كلّ يوم تجربة كما يزداد

لسانه قوة وعظمه صلابه ولحمه شدة من أم تناغيه
وظئر تلهيه وطفل يلاعبه وطبيب يعالجه ونفس تدعوه
وطبيعة تعينه وشهوة تبعته ووجع يقلقه كما يزيد الزمان في قوته
ويشد من عظمه ولحمه ويزيده الغذاء عظماً وكثرة الغضب
والتقلب جلدًا فإذا درج وحبا وضحك وبكى وأمكنه أن يكسر
اناءً أو يكفيه أو يسود ثوباً أو يضرب صيًّا دبره الخادم
وانتهره (١٢) القيم فلا يزال ذلك دأبه ودأبهم حتى يفهم الاغراء
والزجر والتعديّة والانتهاز كما يعرف الطبيب اسمه إذا ألح عليه
الكلاب وكما يعرف المجنون لقبه وكما يحضر الفرش من وقع
السوط لكثرة وقعه بعد رفعه عليه .

فصل منه في هذا المعنى

فإذا استحكمت هذه الامور في قلبه وثبتت في خلده وصحت
في معرفته فهو / (٨٦ب) حينئذ بالغ محتمل وعند ذلك يسخر
الله سمعه للخبر المثلج أو بصره لمعاينة الشاهد المقنع على يدي
الرسول الصادق ولا يتركه حملاً ولا يدعه مغفلاً وقد عدل
طبعه وأحكم صنعه ووقر أسبابه فلا يحتاج عند معاينته رسولا
يحيى الموتى ويبريء الاكمه والابرص ويفلق البحر الى تفكير
ولا تمثيل ولا امتحان ولا تجربة لانه قد فرغ من ذلك أجمع

(١٢) في الاصل : انتهزه .

واستحكم عنده العلم الذي أدب به وهيبه له وأورد عليه • فإن
 كأن لم يكن لذلك عامداً ولا اليه قاصداً ولا به معنياً وإنما (١٣)
 هو عبد عتاه سيده ورشحه مولاه وهيباه خالقه لا امر لا يشعر به
 من مصلحته ولا يخطر على باله من الصنع له حين غداه به وقاده
 اليه وهيباه له فإذا أورد عليه دعوى رسوله وأمته تشهد له بأحياء
 الموتى وفلق البحر وبكل شيء قد عرف عجز البشر عن فعله والقوة
 عليه عليم تجاربه المتقدمة بعادة الدنيا أن ذلك من صنع البشر
 وأن مثله لا يقع اتفاقاً وأن الحيل لا تبلغه فلا يمتنع من رؤية
 البرهان وفهم الدعوى أن يعلم أن الرسول صادق وأن الراد
 كاذب •

فصل منه

ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بدءاً لانه لا تأسيس
 لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له لاقتضبت الكلام في
 المعرفة اقتضاباً ولكن يمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايتي
 فيه إلا تنزيله وترتيبه •

وكل كلام أتيت على فرعه ولم تخبر عن أصله فهو
 خداج (١٤) لا غناء عنده وواهن لا ثبات له •

(١٣) في الأصل : مغيبا . والصواب ما أثبت .

(١٤) الخداج : النقصان . وفي الحديث : (كل صلاة لا يقرأ فيها
 بأُم الكتاب فهي خداج) .

فهرس المصادر

- الابانة في اصول الديانة : الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل ، ت ٣٣٠هـ ، حيدر آباد - الهند .
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة : ابن قتيبة ، نشر في كتاب (عقائد السلف) ، الاسكندرية ١٩٧١ .
- اسد الغابة : ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد ، ت ٦٣٠هـ ، القاهرة ١٩٧٠ - ٧٣ .
- الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، احمد ابن علي ، ت ٨٥٢هـ ، تح البجاوي ، مط نهضة مصر ١٩٧١ .
- اصول الدين : البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر التميمي ، ت ٤٢٩هـ ، استانبول ١٩٢٨ .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، ت ٦٠٦هـ ، القاهرة ١٩٣٨ .
- الانتصار والرد علي ابن الراوندي الملحد : ابن الخياط ، عبدالرحيم بن محمد ، ت ٣٠٠هـ ، تح د . نيبرج ، مط الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٧ .
- البخلاء : الجاحظ ، تح د . طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، ت ٤٦٣هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٣١ .
- تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ ، تح محمد زهري النجار ، القاهرة ١٩٦٦ .
- التبصير في الدين : أبو المظفر الاسفرايني ، ت ٤٧١هـ ، نشر مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٥٥ .
- تذكرة الحفاظ : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨هـ ، حيدر آباد ١٩٦٨ - ٧٠ .
- تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) : القرطبي ، محمد ابن احمد ، ت ٦٧١ هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .
- تفسير مجاهد : مجاهد بن جبر ، ت نحو ١٠٣ هـ ، تح عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتى ، المنشورات العلمية — بيروت .
- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد الدكن — الهند ١٣٢٥ هـ .
- الجاحظ : د . طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .
- حلية الاولياء : ابو نعيم الاصفهاني ، احمد بن عبدالله ، ت ٤٣٠ هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٣٨ .
- الحيوان : الجاحظ ، تح عبدالسلام هارون ، بيروت ١٩٦٩ .
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : الخزرجي ، احمد بن عبدالله ، ت بعد ٩٢٣ هـ ، تح محمود عبدالوهاب فايد ، القاهرة ١٩٧١ .
- ذكر المعتزلة (من كتاب المنية والامل) : ابن المرتضى ، احمد بن يحيى ، ت ٨٤٠ هـ ، تح توما أرندل ، حيدر آباد الدكن ١٣١٦ هـ .
- الرد على الجهمية : الدارمي ، عثمان بن سعيد ، ت ٢٨٠ هـ ، مط بريل ، ليدن ١٩٦٠ .
- الرد على الزنادقة والجهمية : احمد بن حنبل ، ت ٢٤١ هـ ، طبع في كتاب (عقائد السلف) ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ .
- رسائل الجاحظ : تح عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦٤ — ٦٥ .
- رسائل العدل والتوحيد : تح محمد عمارة ، الجزء الثاني (فيه رسائل للامام يحيى بن الحسين المتوفى ٢٩٨ هـ في الرد على اهل الزيغ من المشبهين) ، القاهرة ١٩٧١ .
- زاد المسير : ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، ت ٥٩٧ هـ ، دمشق ١٩٦٥ .

- سنن ابن ماجه : ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، ت ٢٧٥ هـ ،
تح محمد فؤاد عبدالباقي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٢ .
- شرح رسالة الحور العين : نشوان الحميري ، ت ٥٧٣ هـ ،
تح كمال مصطفى ، مط السعادة بمصر ١٩٤٨ .
- شرح العقائد النسفية : التفتازاني ، السعد مسعود بن عمر ،
ت ٧٩٢ هـ ، تح كلود سلامة ، دمشق ١٩٧٤ .
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، ت ٢٦١ هـ ، تح محمد
فؤاد عبدالباقي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥ .
- صفة الصفوة : ابن الجوزي ، حيدر آباد الدكن — الهند
١٩٦٨ — ٧٢ .
- طبقات الحفاظ : السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ،
ت ٩١١ هـ ، تح علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٣ .
- طبقات المفسرين : الداودي ، محمد بن علي ، ت ٩٤٥ هـ ،
تح علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٢ .
- العبر في خبر من غبر : الذهبي ، تح فؤاد السيد ،
الكويت ١٩٦١ .
- العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الواحد الحميد :
القاسم الرستي ، ت ٢٤٤ هـ ، تح محمد عمارة (نشر في
الجزء الاول من : رسائل العدل والتوحيد) ، دار الهلال
بمصر ١٩٧١ .
- غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، محمد بن محمد ،
ت ٨٣٣ هـ ، تح برجستراسر وبرتزل ، القاهرة ١٩٣٢ —
٣٥ .
- الفلو والفرق الغالية : د . عبدالله سلوم السامرائي ، بغداد
١٩٧٢ (وفيه القسم الثالث من كتاب الزينة لابي حاتم الرازي
المتوفى ٣٢٢ هـ المتعلق بأصحاب الاهواء والمذاهب) .
- الفرق الاسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف) : الكرمانى ،
محمد بن يوسف ، ت ٧٨٦ هـ ، تح سليمة عبدالرسول ،
بغداد ١٩٧٣ .

- الفرق بين ، لفرق : عبدالقاهر البغدادي ، تح محمد محيي الدين
عبدالحميد ، مط المدني ، القاهرة .
- الفصل في الملل والاهواء والنحل : ابن حزم الاندلسي ، علي
ابن أحمد ، ت ٤٥٦ هـ . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ،
القاهرة ١٩٦٤ .
- كشف اصطلاحات الفنون : التهانوي ، محمد علي
الفاروقي ، ت بعد ١١٥٨ هـ ، تح د . لطفي عبدالبديع ،
القاهرة ١٩٦٣ .
- لمع الادلة في قواعد اهل السنة والجماعة : الجويني ،
عبدالملك بن عبدالله ، ت ٤٧٨ هـ ، تح د . فوقية حسين
محمود ، القاهرة ١٩٦٥ .
- المختصر في اصول الدين : القاضي عبدالجبار بن أحمد ،
ت ٤١٥ هـ ، تح محمد عمارة ، (نشر في الجزء الاول من :
رسائل العدل والتوحيد) ، دار الهلال بمصر ١٩٧١ .
- المعارف : ابن قتيبة ، تح د . ثروة عكاشة ، دار المعارف
بمصر ١٩٦٩ .
- معجم الادباء : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦ هـ ، دار المأمون بمصر
- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار صادر - بيروت .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد
عبدالباقي ، دار مطابع الشعب .
- مقالات الاسلاميين : الاشعري ، تح محمد محيي الدين
عبدالحميد ، مط السعادة بمصر ١٩٥٠ - ٥٤ .
- الملل والنحل : الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم بن أحمد ،
ت ٥٤٨ هـ ، تح عبدالعزيز محمد الوكيل ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ، تح البجاوي ،
البابي الحلبي بمصر .
- نكت الهميان في نكت العميان : الصفدي ، خليل بن ايبك ،
ت ٧٦٤ هـ ، مصر ١٩١١ .

— النهاية في غريب الحديث والاثار : ابن الاثير ، مجد الدين
المبارك بن محمد الجزري ، ت ٦٠٦ هـ ، تح محمود محمد
الطناحي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣ - ٦٥ .

— وفيات الاعيان : ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ،
ت ٦٨١ هـ ، تح د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .



- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث
- ٣ - فهرس الاعلام
- ٤ - المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
البقرة		
١٨	صم بكم عمي فهم لا يعقلون	٢١
٢٥٥	ولا يحيطون بشيء من عمله الا بما شال	١٣
آل عمران		
١٧٩	وما كان الله ليطلعكم على الغيب	١٢
النساء		
١٤٨	لا يحب الله الجهر بالسوء من القول	١٧
١٥٣	يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا	
	من السماء فقد سألوا موسى البر من ذلك	
١٧٦، ١٧٧	فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة	
الأنعام		
٣	وهو الله في السموات والارض	٢٢
١٠٢	لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار	١٢
هود		
٤٩	تلك من ابناء الغيب نوحها اليك ما كنت	
	تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا	١٢-١٣
النمل		
٦٥	قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب	
	الا الله	١٢

رقم الآية	الآية	الصفحة
	الشورى	
١١	ليس كمثله شيء	١٥٤١٠
	القيامة	
٢٣	وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة	٢٢٦١٣٦١٢
	الجفر	
٢٢	وجاء ربك والملك صفا صفا	٢٢٦١٩
	الشمس	
٨-٦	والارض وما طحاها ونفس وما سواها	
	فألهمها فجورها وتقواها	٣٥
	فهرس الأحاديث	
	لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر ليلة	
	البدر .	١٨

فهرس الأعسلام

- أبو اسحاق النظام ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢
إسماعيل بن أبي خالد ١٥
بشر بن المعتمر ٢٦ ، ٢٩
سفيان الثوري ١٤
أبو صالح السمان ١٥
ابن عباس
مجاهد بن جبر ١٤ ، ١٥
محمد (ص) ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٣٨
أبو معاوية (محمد بن خازم) ١٥
معمر بن عباد السلمي ٢٨
منصور بن المعتمر ١٤
أبى مهدي (عبدالرحمن) ١٤

المحتويات

٥	مقدمة المحقق
٩	فصل من صدر كتابه في (الرد على المشبهة)
١٢	فصل منه
١٦	فصل منه
١٩	فصل منه
٢٣	فصل من صدر كتابه (المسائل والجوابات في المعرفة)
٢٥	فصل منه
٢٧	فصل منه
٢٧	فصل منه
٢٩	فصل منه
٣٠	فصل من رده على أبي اسحاق النظام واصحابه
٣٤	فصل من هذا الكتاب في الجوابات
	فصل في جواب من يسأل عن المعرفة :
٣٦	ابا ضرار هي أم بأكتساب
٣٩	فصل منه في هذا المعنى
٤٠	فصل منه
٤١	فهرس المصادر
٥١-٤٧	الفهارس العامة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
١٥٤٦ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م